ظلال العقل
ميمونة أحمد
قصة قصيرة

ظلال العقل

اسم العمل: ظلال العقل.

نوع العمل: قصة قصيرة.

اسم الكاتبة: ميمونة أحمد.

تصميم الغِلاف: ميمونة أحمد.

تصميم داخلي: ندى الجندي.

تعبئة وتنسيق: ندى الجندي.

تدقيق لُغوي: ندى الجندي.

بين أروقة المصحة؛ حيث العقول المحلقة بعيدًا عن الواقع، وجدت روحها تتراقص مع نبضات قلب آخر؛ لتحتضن الحب بين ظلال العقل والجنون.

إهداء

إلى القلب الذي أحرقته رصاصة العدو الغاشم، والروح التي ارتقت وهجرت روحي وحيدة.

إلى الصدفة الأجمل والأصدق بحياتي، وإلى القلب الذي ينبض بالمحبة، وصديقي الوحيد: (عبد الله قصّار).

ميمونة أحمد.

المقدمة

هنا؛ حيث لا فرق بين الواقع والوهم، بمكان ما داخل ظلام عقلي وظلاله، امتزج اليأس بالأمل و ذابت الفرحة وبقي الألم.

في عالم منسي؛ حيث ينصب الجنون حاكمًا وسط اللا شيء؛ حيث تتلاعب الأحلام بالوقائع، وتلتقي حدود الواقع بأبعاد الخيال.

في عالم لا يعترف إلا بالجنون؛ حيث يتأرجح العقل بين الخيال والواقع، وتتلاشى حدود المنطقية.

هنا، في زمن الهوامش والشكوك، التقيت بروح مضللة بين تيه العقل ومتاهات الجنون، تحوم كظلال في دهاليز عقلي المظلم، وكانت حادي دربي في ظلام عقلي وظلاله.

بقلم:

ميمونة أحمد

لم تكن رحلتي طويلة وليست مليئة بالإنجازات، فما أوصلني إلى هنا هو الفشل، لكنه ليس مكاني ولا يناسبني؛ فالأموات عادتنا يكون مكانهم المثالي: القبور.

لكن لا بأس، أربعة حوائط إسمنتية ذا ألوان شاحبة وباب حديد تراكم عليه الصدأ، يكفي ليكون قبرًا.

الأيام هنا متشابهة أو بالأحرى هو يوم واحد له نفس الملامح يتكرر، لكن بالرغم من ذلك استطعت أن أحصي كم مر من الوقت، أنا حبيسة غرفتي منذ قرابة شهرين.

شهرين ولم يتغير شيء، عقلي يرفض أني ما زالت جزءًا من هذا العالم، وهم لا يفهمون أني لم أعد على قيد الحياة، لكن مع الأسف ما يفصلني عن الموت هو تصاعد أنفاسي وقلبي الذي ينبض بالألم، حتى أن الجميع هنا أصابهم اليأس من تحسن حالتي أو تقبلي لما جرى، لكنهم رغم ذلك يحرصون على العناية بي وتفقد حالي من وقت إلى آخر.

لكن يبدو أن أحدكم يتساءل: أين أنا؟ وما هذه الحال التي بقيت عليها أنا؟

ومن المؤكد أن الكثير خلف هذا الباب لديهم الأسئلة ذاتها، لكن مع الأسف حالتي لا تسمح أن أخرج وأجيبهم بنفسي؛ لذا قد تنابون عني بالأمر، وبما أني قد استيقظت من رقود

نومي جراء الجلبة التي يصدرها رفاقي من الغرف المجاورة، واحتمالية عودتي لنوم تساوي صفر.

فسوف أسرد لكم في بضعة سطور هذا الدفتر الذي وجدته بأحد أدراج الخزانة المجاورة لفراشي- حكايتي كاملة.

لا، لا داعي للقلق، لن أطيل؛ فأنا لست من هواة الكتابة لكن هذه وسيلتي الوحيدة حاليا لأخبركم بما جرى.

نهضت عن فراشي وجلست على الأرض مفترشها لأضع الدفتر على ركبتي، تحسست غِلافه قاسي الملمس بأطراف أصابعي المرتعشة، فأنا منذ فترة أعاني من بعض الاضطرابات بالأعصاب، خلعت غطاء القلم وأمسكته بصعوبة بين أصابعي المهتزة؛ لأكتب السطر الأول بتعثر، فرجاء سامحوني عن الخط السيئ.

اسمي هاجر؛ عمري ست وعشرون عامًا، أعمل محررة أخبار لدى قناة الحقيقة الإخبارية.

مهنتي تتطلب دومًا أن أبحث عن الخبر حيثما كان وتحت أي ظرف، بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى، لا يهم حالة الطقس بارد أو حار لا يهم، وضع المكان سلم أو حرب.

ما يهم أن تنقل الصورة كاملة وبأحرِ دقة وشفافية، والأهم إياك أن تجعل مشاعرك الإنسانية جزءًا من نقلك للخبر.

يفرض علينا العمل أن نكون مثاليين بالمحايدة، أي كن أشبه بالإنسان الآلي؛ مبرمج ولا يملك مشاعر أو تفاعل إلا بسياق ما طلب منه.

لكن هذه لم تكن مشكلتي مع طبيعة عملي، فأنا أحبه واخترته بملء إرادتي، صحيح أنني كنت أعاني كوني مضطرة أن أقف بجمود أشبه بالصخرة الناطقة وأنا أنقل الأخبار للقناة ببرنامج (ميعاد التغير) بتمام الساعة -- صباحًا دون أن أذرف الدموع، قد نقلت الكثير من المآسي أبرزها الثورة السورية وانفجار مرفأ بيروت، كلها مآسي راح جراءها آلاف الأرواح لكنها قد انتهت، لكن المأساة الأبشع حتى الآن التي كنت أنقلها لنشرة الأخبار على مدار الساعة، هو ما يحدث بقطاع غزة، كنت أتعمد أظاهر رفضي لتلك الإبادة الجماعية من قبل محتل غاصب وغاشم، تفاقم الوضع بالحصار إلي أن وصل إلى نبشهم قبور الأموات وتباهي الجنود باغتصاب النساء بالشوارع، ورغم تشديد رئيس التحرير عليَّ بالحيادية، لكني كنت أصمد قدر المستطاع أمام الكاميرات وأظهر بحيادية إعلامية كاذبة، وعقب انتهائي من نقل الأخبار أتجه للحل البديل؛ وهو مواقع التواصل، ملايين المتابعين يعيدون مشاركة تغريداتي ومنشوراتي وتصريحاتي التي

ترفض وتشجب الوضع الراهن بقطاع غزة، وبسائر الأراضي الفِلَسطينية المحتلة.

حينها عندما كنت على وشك الانهيار والتخلي عن الحياة، كنت أتأمل مظاهر الحياة، تشعل قلوب الناجين من بين الركام، فأستحي أسفًا أن أعلن استسلامي ويأسي من التغير.

كانت رحلة محفوفة بالمخاطر، وحذرني الجميع من خوضها مثلما حذروني من السفر إلى سوريا قبلًا، فمصير من بقطاع غزة معروف.

أما الموت تحت القصف المستمر منذ السابع من أكتوبر عام (2023م) إلى الآن، أو يجبر على أن يرى الموت بكل أنواعه ولا يذوقه ليرتاح.

بدقيقة واحدة تحولت من محررة أخبار إلى خبر عاجل.

الفارق أني من ذاع الخبر عبر البث المباشر بملامح بلاستيكية ونظرة فارغة من المعاني وبلا مبالاة، كتب أسفل منتصف الشاشة باللون الأحمر:

- "خبر عاجل: قُصف طاقم تصوير قناة الحقيقة ومات جميع الفريق، واحتمالية ضعيفة لنجاة المحررة".

كانت هذه آخر كلماتي قبل أن تحترق الكاميرا وينقطع البث، لا لم أقتل!

بعد أن غبت عن الوعي وأنا أدفن نفسي بين التراب؛ هروبًا من أصوات الانفجارات- انتشلني أحدهم.

كلا، لم أنقل إلى المشفى؛ فكلها هنا قصفت تبعًا.

كلا، الجوار بالكامل شبه خالٍ من البيوت والخيام بسبب استمرارية القصف.

استيقظت بعدها بحوالي خمس ساعات، لأجد نفسي بأحد الإنفاق القديمة التابعة للمجاهدين.

اهتموا بحالي وأنقذوني من موت محتم، وبعد أن نُشر خبر وفاتي بكل المواقع والقنوات، وبعد أن تلقت عائلتي عزائي أوصلت إليهم خبر نجاتي، ومرت أيام قليلة وغادرت بعد أن تماثلت الشفاء لأعود إلى بلدي.

رحلتي بالنفق لم تكن آمنة من المخاطر كما قد تظنوا، فمثلما كان الخطر موجودًا على سطح الأرض، فهو موجود بباطنها، فبأي لحظة قد يقصف النفق لنُدفن أحياء.

وهناك كانت أصوات الانفجارات لا تهدأ على مدار الساعة، أجل، لا ندري قد نموت بأيَّةِ دقيقة.

- "يا صغيري، إن كنت ترى في عيني غزة اليوم مدمرة، فإني أرى في عينيك الأقصى محررًا غدًا".

تلك كانت أخر كلمات قالها أحد المجاهدين لولده الصغير

ذي التسعة أعوام قبل أن يلتقط أنفاسه الأخيرة؛ لينال الشهادة.

فكيف ينال منك الاكتئاب وأنت محاط بمنبع للطاقة الإيجابية!

تعبت أناملي من الكتابة، فأنا لست من محبيها كما قلت سلفًا؛ لذا اعذروني، عدت لفراشي محاولة أن أعود للنوم، لكن أصوات ضجيج رفاقي لم تسكت بعد، لا أدري صحيح أني لم ألتقِ أحدهم حتى الآن، لكن حقًّا لا أجد مبررًا أن يكون زمرة من المجانين بكل هذا النشاط.

أزحت غطائي وقمت عن الفراش والغضب يملأني، وبخطوات متمايلة غير متزنة، اقتربت من الباب وضربته بقوة بيديَّ الاثنتين.

- طفح الكيل، أريد أن أنام.

سكت صوتهم لثوانٍ، ثم أجاب أحدهم من وراء الباب بصوت خفيض:

- المعذرة يا جارتي، أخذتنا حماسة اللعبة.

بالرغم من كون صاحب الصوت كان سببًا كافيًا لإزعاجي وتعكر صفو رقودي، إلا أنه كان لديه شيء ما بصوته، استشعرت فيه الدفء والطمأنينة.

بعدما قدم اعتذاره عاد الهدوء إلى المكان، أي أنهم اكتفوا

من اللعب؛ لذا عادت فرصتي لأنام هاربة من واقعي وحياتي، إلى أن يأذن بساعة مامتي.

غفت عيناي وارتخت أوصالي واختلط الواقع بالوهم، الظلال السود تحوم حول بصري لتشكل تفاصيلَ أعرفها ولا تغادر خاطري وترفض أن تكون جزءًا من النسيان.

تحولت الظلال إلى صور ترصد ما مضى، وجهي وعيناي ملطخان بالدماء، أقف عاجزة ويقتلع الخوف قلبي من بين ضلوعه، الأرض من حولي محترقة، ويتصاعد منها الأدخنة وجميع من على الأرض أموات، غارقين ببحر من الدماء.

أركض يمينًا ويسارًا أبحث عن طريق، ثم أتعثر بحفرة، الأرض تهتز من تحتي، أي أنها تستعد لسقوطٍ جراء قصف جديد، إن لم أكن سأعيش؛ لأغلق قبري بيدي الآن.

جلست على الأرض داخل تلك الحفرة التي تعثرت بها قبل دقائق، وجمعت التراب ليغطي قدامي وأغلب جسدي ولأستلقي هنا إلى أن أموت ، وتنقطع أنفاسي أو ليسقط فوقي صاروخًا ويلحقني برفاقي.

كل ما سمعته بعد هذه اللحظة؛ كان انفجارات الديناميت ولا أدري، هل مت أم غفت عيناي؟!

لكن اتضح فيما بعد أني كالعنقاء، أدفن بالرماد لأخرج

بعدها وأعود من جديد، كغروب الشمس ليضيء القمر ليلًا حالك السواد، يمضي ويزيد من المرار بتكرره ، ويجدد الألم الجرح ولا يمكن نسيانه لكنه مضى، وجاء النهار متوهمًا أنه قادر أن يتسلل نوره بداخل ظلال عقلي بين ظلامه.

فبالرغم من اكتفاء جسدي وعقلي من النوم، لكن ليس لدي أي جهد أو عزيمة أن أبرح شبرًا بعيدًا عن فراشي، ما الداعي أصلًا؟

واقعيًّا ليس لديَّ ما أفعله، وعلميًّا أنا مريضة اكتئاب حاد وهذا يبرر رفضي للحياة.

لكني تذكرت بعض الأشياء التي أريد أن أدونها بالدفتر؛ لذا نفضت الغطاء عني وفتحت درج الحكأ وأخرجت الدفتر من حيث كنت أضعه.

أمسكت القلم بين أصابعي ذا الأعصاب المرتعشة، ووضعت سنه على بداية السطر.

بالسابق وفالبداية، حكيت لكم عن حياتي العملية وسبب أزمتي التي تلازمني والتي انحصرت هنا بسببها، والآن سأكتب بضعة سطور عن حياتي العائلية:

ولدت في القاهرة بحي الجمالية، لوالدين لبنانيين على العقيدة الدرزية التوحيدية، لكن بحكم جواري لأهل السنة

بمصر؛ غيرت ديانتي كوني وجدت بالإسلام الوسطية والانضباط العقائدي.

لديَّ أخ واحد يكبرني بعشر سنوات، وهو تابع لنفس الطائفة الدينية.

وبالرغم من الشقاق العقائدي بيننا، إلا أننا دائمًا السؤال على حال بعضنا.

حسب عقيدة أهلي، إن الروح لا تصعد للسماء بعد الموت، ففور خروج الروح من الجسد بوقوع الموت، تعود لتخلق مرة أخرى بجسد طفل وليد.

فالجسم بمكانة قميص تلبسه الروح لفترة معينة، وهي العمر حسب اختلاف مدته، ثم عندما يُبلى القميص تنتقل الروح إلى قميص آخر، ولا يشمل ذلك التقمص الحيوانات أو الجماد.

وانتقال الروح يكون فوريًّا وسريعًا من الجسد الميت إلى جسد المخلوق الجديد.

قد يتسلل إلى خاطركم: وما الحكمة من هذا الاعتقاد الغريب و المبهم؟!

حسب عقيدة الدروز، فالعدل الإلهي بحساب الناس عن أغلاطهم وأعمالهم، يكون بمرور الروح بشتى الأحوال والظروف البشرية، أي أنه مرة يخلق الإنسان غنيًّا، فإن

أحسن وكان كريمًا وعطوفًا على الفقراء، يكافَأ على ذلك بحياته التالية، وإن كان العكس، أي متجبر ظالم يعاقب بحياته التالية بالفقر والشح، وإلى آخره من الصور والأمثال بالصحة والمرض وتمام الخلقة أو التشوهات والإعاقات الجسدية وغيرها، وبالنهاية يحصى الله كل مجموع تلك الحيوات للإنسان يوم القيامة، فأن كانت روحه استوفت كل الشروط تدخل الجنة ، وإن لم تكن قد نجحت بكل تلك الاختبارات المتفاوتة يدخل النار مخلدًا، وهذه المحاكمة يخضع لها سائر البشر يوم القيامة، فحسب عقيدة الدروز فالبشر متساوون في شتى وكافة الأديان.

ويرجع أساس تأسيس عقيدة الدروز منذ الأزل، واعتنقوا كثيرًا من الديانات على مر الدهور، واعتنقوا الإسلام في مرحلة من مراحل تشكل وتكوين العقيدة، أي أنهم قد تحولوا عن الإسلام إلى دين آخر مستقل، لكن في سالف الأمر كانت ضمن المذاهب الإسلامية.

ومن فترة إلى أخرى يقوم أقطاب العقيدة بتجديد بعض الأمور التي قد تواجه صعوبة في الفهم والتقبل بالزمن، فالدرزية دين متطور يتطور من زمن إلى آخر.

وهذا ما كان يبث الخوف بداخلي، فكيف للإنسان أن يواكب و يواجه دين يتغير بتغير الزمن، ولا يربطه أصل

ثابت سوى بضع أساطير تتحاكى إلى الأطفال على أرض جبل لبنان ليلًا تحت السماء المليئة بالنجوم؟!

فالإنسان يحتاج إلى دين قوي يملك الحجة والبيان؛ ليقف قويًّا يقاتل ظلال عقله وظلامه.

وبالرغم من غرابة الفكرة واستحالة عقلانيتها، إلا أن جزءًا بداخل ظلال عقلي يلوح بتقبل الفكرة، قد يكون بعض تأثير تلقيني تعاليهم بصغري، أو ربما محاولة من عقلي بأن يحميني من أكون على شفير الجنون بسبب فرط الظلم وغياب العدالة، وما يتعرض له الأبرياء من قهر.

صحيح أن الله قد وعدنا -نحن المؤمنين- بالنصرة والكثرة ورد الحقوق إلى أصحابها بدار الحق؛ أي يوم القيامة.

ولكن النفس البشرية الطامعة تسعى دومًا أن تغلب وتنتصر بحلبة صراع الحياة، فكم من ظالم هلك دون أن يتجرع كأس ظلمه بالحياة الدنيا!

لكن من منظوري الخاص والذي هو سبب انسلاخي عن عقيدة أهلي: إيماني إنَّا لم نخلق لغاية التوهان والغربة داخل عقولنا والخضوع لتجارب الحياة العبثية، إنما خلقنا لغاية واحدة؛ وهي العبادة وأن نخلف بعد موتنا عبرة حسنة، وليتباهى بنا الخالق أمام ذرية إبليس يوم القيامة ونحقق حكمته من أن نستخلف فالأرض، فكيف يمكن أن

يتحقق هذا الشرط ويكون مبدئي أن أعيش راضية عن حياتي بعيوبها، على اعتقاد أن لروحي رجعة بعد موتي وزوال جسدي؛ لأحقق ما لم أحققه بحياتي الأولى أو الثانية إلى ما لا نهاية.

صحيح أن الروح أزلية ولا تفنى، لكن لها نطاق ودار ذو نطاق محدد ذكره الله بصيغ شتى في القرآن الكريم، فكل الأرواح التي تفارق أجساد بعد موتها تصعد السموات الدنيا وصولًا إلى حياة البرزخ، حتى قيام الساعة ويبعث الناس إلى حسابهم ثم جنة ونار.

لذا لا أجد صعوبة فيما يخص ردع عقلي عن الفكرة، لكن أحيانًا يميل فكري إلى استحسان، ولكن في اللحظة المناسبة أكبح وأعود لرشدي مستغفرة.

عشت قرابة تسعة عشر سنة بمصر، ثم عدت إلى لبنان لدخولي الجامعة، ومن بعدها بدأت مسيرتي الإعلامية

كمحررة إخبارية لدى القناة المصرية الحقيقة، وهذا يعتبر اختصار وجيز وكافٍ لما أنا مررت به.

* * *

مرت ساعات لا أعرف كيف أحصيها، فلا يوجد أهمية لمعرفة كم الساعة، فكل شيء حولي متشابه وانحصرت بداخل عقلي بين ظلامه وظلاله، أجد منقذًا أو منفذًا، ولا

أريد أن أجده؛ فخلف هذه الجدران لا ينتظرني غير تَكرار للمآسي وتجديد الآلام

جلست في زاوية مظلمة ومهملة من غرفتي الصغيرة بالمصحة العقلية، أجلس وحيدة محبطة، فارغة الروح مليئة بالجروح، أتأمل الجدران ذا الألوان الباهتة، رؤيتي مشوشة ولا أرى سوى ضباب، أتحسسها لتلامس تلك النقوش التي تزينها، رسمت بيديّ أنصاف عقول محلقة بعيدًا، وكأنها تحمل أسرارًا لا تكشف إلا للعيون الحزينة، التي تعكس ذكريات مؤلمة وأفكار متشائمة في عقلي المرهق.

أغمضت عينيّ وارتسمت ابتسامة حزن تعكس على وجهي الكثير من الآلام والأسرار المدفونة بداخل ظلام عقلي بين ظلاله.

أحاول جاهدة أن تختبئ كلها وراء قناع أضعه دومًا، الهدوء والصمت، لكن بين الحين والآخر تشع بقوة أحزان غامضة وآمال محطمة.

بداخلي كل المعاني وعكسها، لا فارق فأنا هلكت وضعت بينها، وغرقت في بحر من الضباب قسمَ روحي إلى أشلاء أو ربما بقايا إنسان.

اخترت البعد و خسرت الجميع، حتى نفسي فلا رجوع

الآن ولا بأي أوان.. ماذا كسبت؟ لا شيء، لا راحة ولا أمان.

وفي لحظة هادئة ومكللة بالحزن، فتح باب الغرفة ببطء ليدخل (عمرو)؛ الممرض المؤكل بالعناية بالقسم الذي أنا ضمنه.

دخل بخطوات هادئة، ترسم قسمات وجه ابتسامة دافئة يتسلل منها الحنان الذي يبث إليك شعور الأمان ويغمر بالراحة.

وبنظرة تتألق بعينيه عاكسة العناية والاهتمام الذي يغمر جدران قلبه، اقترب بلطف ونطق بصوت يبعث منه وجودًا طيبًا وكلماته التي تحفز للحيوية.

عمرو: اليوم هو الخميس، ما رأيك أن تنضمي للجمع بغرفة الترفيه؟

كان لكلماته تأثير ليطغى على الصمت المحيط ويملؤه بالتفاؤل والأمل، فقبلت الدعوة اللطيفة.

لملم أوراق الدفتر المبعثرة على الأرض، وساعدني على أن أقوم ليرافقني إلى غرفة الترفيه؛ حيثما يكون الابتهاج والتسلية وتجرِبة أوقات مليئة بالحيوية والإيجابية.

مررنا بالممر إلى آخره حيث غرفة الترفيه، صحيح المسافة ليست طويلة لكن رأسي المشوش ووعيي

المضطرب، يجعلني غير متزنة؛ لذا عمرو كان يرافقني ممسك بمرفق ذراعي الأيسر بلطف وحذر.

هي ليست بغرفة، إنما قاعة تحتوي على عدت طاولات لأنشطة من بينها الرسم، تشكيل الصلصال، والقص واللصق واستخدام بعض الآلات الموسيقية أو حتى الغناء، ولا يهم أو يشترط إتقان أي من هذه الأشياء، فقط جرب وأخرج ما بداخلك.

قد تكون أنشطة طفولية وساذجة بعض الشيء، لكن الغرض الرئيسي هو أن يشغر المريض عقله الباطن بمزاولة أنشطة بسيطة وسهلة غير معقدة.

وما أن وصلنا إلى باب الغرفة، أمسكت يده ونحيتها عني بطلف وبادرته بابتسامة باهتة.

هاجر: لا عليك، سوف أدخل بمفردي.

طالعني بنظراته الحنونة بتفحص ثم أردف: متأكدة؟

هاجر: أجل، لا داعٍ للقلق.

رمقني بتشكيك وتظاهر بتصديقي ونبس قائلًا: حسنًا، سوف أنتظرك هنا قرب الباب.

وقف عمرو بجانب الباب الخشبي ذي البابين العرضين وأنا دلفت للداخل، القاعة لها نفس ألوان الحوائط الباهتة،

هنا حيث لا يفرق الواقع عن الوهم، ويمتزج العقل بغموضه.

القاعة من الداخل مقسمة لطاولات، ولكل طاولة نشاط معين.

اخترت طاولة الرسم، ليس لفرط مهارتي بالرسم أو لحسي الفني العالي؛ أنا لا أحسن الأساسيات حتى ولكن شيء ما ربما بمزج الألوان يخرج هذه الندوب الكامنة بداخل الروح.

جلست على كرسي ووضعت أمامي دفترًا وأمسكت القلم وبدأت أحركه بعشوائية، تارة أرسم موجة بحر عالية وتارة أرسم إبريق شاي، كان الأمر فوضوي ومرتجل بالكامل.

بعد أن ملأت الصفحة وأتممت مهام الرسم، يأتي وقت إضافة بعض الألوان التي تضيف روح المعاني إلى الرموز والحركة للجماد.

كانت علبة الألوان الزيتية على الطاولة بالمنتصف؛ حيث أنها مشتركة مناصفة بين الجالسين، غمست الفرشاة باللون الرمادي فهو لوني المفضل ومعبر عن حياتي واختياراتي وعقائدي بالحياة، أنا إنسان رمادية هامشية، أتخذ جهة أو اتجاه معلوم، أنا كل ما هو محايد.

وبين حركة تنقل يدي بين علبة الألوان والدفتر لاحظت أحدهم يقاطعني ويغمس فرشاته بألوان جذابة ملفتة، ازداد فضولي لأرى ما يرسم، فحركت بصري إلى دفتره وكانت رسمة جذابة متقنة لمجرة بالفضاء متداخلة الألوان بدقة لا تخرج من عقل مختل، نظرت أتأمل صانع تلك اللوحة، وبراعته في الرسم واختيار الألوان.

كان شابًا نحيفًا وهو على الأغلب في الثلاثين من عمره، ذو لحية مكتملة كثيفة مرتبة، وشعر قصير ناعم كستنائي اللون، كان يتابع الرسم بالدفتر وعيناه مركزتان على إضافة تفاصيل للوحة، أصابعه تتحرك بخفة ورشاقة تحفظ كل الزوايا بداخل حدود نطاق الصفحة وإضافة الألوان تثقله براعة إضافية لموهبته.

ولكن فجأة التفت ينظر إليّ فشعرت بالحرج، قد يظن أني كنت أتمعنه بالنظر وأراقبه.

أدرت وجهي وغضضت بصري عنه وأحنيت رأسي لأدفن وجهي بين صفحات دفتري، أحاول أن أضيف تفاصيل أكثر إلى تلك الرسمة العبثية، لكن يشغل تفكيري برفيق الطاولة الموهوب ذاك.

فجأة سمعت صوت إزاحة وحركة الكرسي على الأرض، فكان أغلب ظني أنه أتم تحفته الفنية وغادر من جواري.

- ينقصك إدراج بعض التفاصيل على لوحتك.

تحفز انتباهي ورفعت رأسي عن الدفتر؛ لأتأكد من مصدر الصوت، ناظرته بزاوية جانبية، فأنا صادفت ذاك الصوت قبلًا، أغلب ظني أنه من كان يتشارك الرفاق أمس بلعب الكرة.

بادرته بابتسامة خجولة ومددت يدي إليه مصافحةً إياه، وقلت: اسمي هاجر، هل أنت رسام؟

قابل يدي بالمصافحة ثم أخرج شيئًا من جيبه باليد الأخرى وأمسك يدي بين كفيه ودس بها ما كان يخبئه، وقال: وأنا اسمي علام، وهذا أسميه مصافحة الأصدقاء.

ترك يدي وأنا أفتح كفي بفضول؛ لأعرف ماذا دس بداخلها، فكان شكل نجمة فضية مصنوعة من قصاصات الورق.

لم أفهم ماذا يقصد بهذا التصرف؟! لكنه لطيف نوعًا ما.

علام: رسمك عشوائي بعض الشيء، تماما كحياتك وتفكيرك.

ضحكت وأجبته ساخرة: ولمَ عليَّ أن أتحرى الدقة؟ هل لدينا لجنة تقيم أداء؟

علام: لا، لكن عندما يكون أثرنا ذو قيمة، يضيف إلينا فخر الإنجاز مما يدفعنا لرضا، بالمناسبة أنا لست رسام، أنا مهندس أو دعيني أقول كنت مهندس فيما مضى.

أزاح كرسيه وقام ليغادر فأوقفته ممسكة بمرفقه، وقلت: مهلا، لحظة من فضلك، لدي سؤال، هل أنت من كنت تلعب مع البقية الكرة أمس؟

أومأ مؤكدًا بالإيجاب وقال: أجل يا جارتي.

تعجبت قليلًا ثم سألته: لمَ تستمر بلفظ جارتي، هل لأننا بغرف متجاورة؟

أجابني برد غير متوقع قط: لا.

أشار إلى قلبه وإليَّ قائلًا: لأن نحن والقمر جيران، ولو أهديتك نجمة وهي أنا لتكون بجوار القمر.

كان لكلماته أثر واقع بالبهجة والفرحة، ليس لأنه يغازلني ولكن أردت أن أتأكد من ظني فسألته بترقب: هل أنت لبناني؟

ابتسم ساخرًا وأردف مجيبًا: لا، أنا هندي.

أشحت بمزح هاتفه وقلت: لكن شكلك وهيئتك لا توحي بأنك هندي، لكن لا بأس لنحل الأمر في ثانية.

أمسكت الفرشاة من على الطاولة وغمستها باللون الأحمر ثم لونت دائرة بمنتصف جبين علام كما يفعل الهنود بهيئتهم، وقلت: هكذا صرت الآن هنديًّا تمامًا.

امتزجت ضحكاتنا سويًّا وتغيرت الأجواء حولنا إلى فرحة وبهجة تتراقص لها قلوبنا.

* * *

مر النهار بين الأجواء المرح ودندنة علام بأغنية فيروز نحن والقمر جيران.

جاء الليل وخيم الحزن على قلبي وتناثرت الذكريات الثقيلة، والتي أحاول أن أتخطاها ولكن يرفض قلبي، فبداخلي مخاوف، ماذا لو تكرر الأمر؟

هل أنا مستعدة لخسارة المقربين مني؟ الأغلبية يظنون أن الأمرَ سهل، لكن الواقع غير فمحرر الأخبار تجمعه علاقة أسرية بطاقم تصويره ليست مجرد علاقة عمل أو زمالة، فنحن أسرة واحدة نتشارك الطعام والشراب والمصير.

نضع حياتنا على المحك لأجل أن نقوم بتغطية شاملة للأخبار بينما العامة يتابعون الأخبار بتأفف وبتصفح سريع للجوال أو القنوات التليفزيونية.

فليس سهلًا أن بين ليلة وضحاها أنسى حياتي بينهم وأنسى رؤيتي لموتهم أمام عيناي وأنا أنقل الخبر عبر البث، وأنا على شفير الموت لا أجد خلاصًا من مصير مؤكد.

فكيف للإنسان أن يعتاد؟ كيف يمكن أن تتحول رؤية بحور الدماء كرؤية الماء؟ كيف يمكن أن تنسى تحول الأقرب إليك إلى أشلاء؟! قد يعتاد المشاهد عبر الشاشة أو رواد مواقع التواصل؛ نظرًا لأن الأخبار تتكرر بنفس البشاعة ولا يحدث أي تغير مؤثر إيجابي، فيتلاشى الاهتمام سريعًا إلى أن يصل للاعتياد ثم التجاهل والنسيان.

وهذا يعتبر عاديًا بالنسبة إليهم؛ فهم اعتادوا الظواهر الشهيرة السريعة التي تظهر لفترة، ثم تعود طي النسيان فيتخلى البعض إلا قلة صامدة داعمة مستمرة في المتابعة والبحث عن الخبر الصحيح، وسط حصار إعلامي مضلل وملايين الصفحات إلكترونية الكاذبة.

فالحرب على غزة ليست حرب عدوان يسعى لاحتلال أرض ومحو شعب كامل بدافع للاستيطان، إنما أيضًا حرب تزيف وتزوير الحقائق التاريخية؛ لمحو عراقة الأرض والشعب ولهدم مقدس من أهم مقدسات الدين.

لذا من ضمن الأدوات، تدليس الأخبار المنقولة عن المأساة والإبادة الشاملة المرتكبة بحق فلسطين خصوصًا قطاع غزة.

* * *

مضى الليل ولم أتمكن من النوم ورأسي يملؤه صداع التفكير وجلبة الذكريات المبعثرة، فأنا ضائعة بين شتات نفسي وأسعى لإيجاد طريقي.

كانت الأصوات بدأت تسمع بالخارج، أي قد استيقظ الجميع، وعلى الأغلب أنهم يتناولون فطورهم بقاعة الطعام.

دق الباب بلطف معلنًا وصول فطوري، أذنت بالدخول وانفتح الباب.

دخل عمرو بخطوات هادئة يحمل صينة الطعام.

كنت ما زالت منكمشة بداخل فراشي أتابعه بكسل وانعدام شغف تجاه الحياة.

اقترب عمرو ليضع الصينة على الطاولة الصغيرة بجانب الفراش، ثم طالعني بنظرة جانبية بفضول واهتمام باعث إليَّ إحساس أفتقده منذ صغري، شعور أن أحدهم يهتم لأجلك ويهمه حالك، ولكن لا ينتظر منك إحسان أو رد مقابل لذلك التفاعل الحسي.

هذا النوع من الاهتمام لن يتوفر إلا لدى فئتين من البشر،

الأول: الأمهات تجاه الأبناء بفطر خلقية. الثاني: بعض الأشخاص الذين تعرضوا لأزمات نفسية بسبب نقص في الحب والاهتمام من الأهل ببداية حياتهم، فتحول هذا النقص لديهم لطاقة حب تستوعب حب للجميع دون مقابل ولا تنضب لديهم تلك القوة، لكن هذا المعيار قد لا يطبق على عمرو، فهو ممرض بالمصحة، ومن ضمن مسؤولياته أن يكون ودودًا ويظهر الاهتمام تجاه المريض المسؤول عن رعايته.

ولكن كوني أفتقر هذا النوع من الاهتمام والحب، أتوهم أن لا رابط بين أبرزه وأظاهره للود والاهتمام، وبين أنه الممرض القائم على رعايتي.

عمرو: ألا يعجبك الفطور؟

التفت إليه بنصف اهتمام وانعدام تركيز، وقلت: بلى، شهيّ.

رمقت الصينة بنظرة خاطفة وكانت تشمل على جبن أبيض والزعتر وإلى جانبه الخبز المحمص وزيتون أسود.

مكونات المائدة كافية لتدخل السرور على قلب أي لبناني يميل إلى تناول الأطعمة التقليدية على وجبة الفطور،

وأيضًا تربطني بهذه الأصناف مئات الذكريات الدافئة مع عائلتي ومنطقة سكني بجبل لبنان، لكن داخلي شعور لم أشعره به منذ فترة، فهذه اللحظة يتملكني شعور بأن أتكلم وأتجاذب أطراف الكلام مع أحد.

عمرو: يبدو أن هناك شيئًا ما بخاطرك.

وكأن جرى بيننا تخاطر؛ فبصوته الدافئ وبكلماته اللطيفة ليس أمامي سوى أن أتكلم.

هاجر: نعم، أشعر أن الكلمات ستخنق حلقي إن لم أخرجها.

أشاح بيده نافيًا وقال: حرريها، أخبريني ما الأمر، ماذا بكِ؟

كان هذا يعتبر لعمرو بمنزلة إنجاز غير مسبوق، فأنا منذ قدومي إلى هنا لا أتكلم إلا للضرورة، ومرت أيام كثر لم يسمع فيها إلا أصداء أنفاسي.

زفرت بعمق وأنا أرى في عينيه فضول وإشعاع الطمأنينة يغمره.

هاجر: برأيك يا عمرو، هل أنا أحمل وزر موتهم؟

استشعر عمرو بين كلماتي عودتي إلى أزمة الإحساس المفرط بالذنب.

رد على سؤالي بسؤالٍ ساخرٍ: لمَ؟ هل أنتِ من أمر بقصف المنطقة، أم أن لديكِ علم مسبق بقصف المكان لذا استدرجتِهم إلى هناك؟

هاجر: لا، لم يكن لدي علم مسبق بالحادث، لكني أصررت أن نبقى بغزة بعد انقضاء مهلة تصريح التصوير للاستمرار بتغطية الأخبار رغم التهديد بالأخلاء، أي أنا السبب باستمرار تواجدهم هناك؛ ليلاقوا مصيرهم بالموت.

عمرو: ما كان الداعي؟ ماذا رغبتكِ من استمرار التغطية؟

هاجر: كنت أشعر بالخزي، فالناس هناك يسعَون للتمسك بالحياة بأضعف السبل إن وجدوها، وأنا وغيري نفِر من المكان إذا ما نقص مورد من موارد الغذاء أو الأمان، أردت أن أكون كلمتهم الأخيرة وألا أقف بصف الذين تخلَوا عنهم وخزلهم لأجل مطامع شخصية أو نجاة من الموت الذي يغترف منهم مئات كل يوم.

سكت عمرو لثوانٍ أمعنَ بها مقصد كلماتي، ثم أمسك قطعة خبز ليغمسها بالجبن والزعتر و قربها مني.

عمرو: وأنتِ كنتِ عونهم حتى اللحظة الأخيرة، ككسرة الخبز هذه التي تفتقر إليها معدتك منذ أيام، صحيح أن

المحاليل والمكمل الغذائي مفيدة، لكن لن يكون كافيًا، فالجميع عبر مواقع التواصل والمنصات وحتى بسائر البلاد يملؤهم حل ودعم فلطسين وأهل غزة، لكن إن لم يتوفر أمثالك بساحة التغطية الحية لن يتمكنوا من رؤية المشهد كامل وبوضوح، أعلم أنكِ تلومين نفسك، لكنك لم تقترفي خطأ سوى بحق نفسكِ.

أزاح كلام عمرو قدر كبير من سيطرة الإحساس بالذنب وتملك الخزي من قلبي.

هاجر: وما هذا الخطأ يا عمرو؟

عمرو: أن تدفني نفسك وأنتِ على قيد الحياة، صحيح أن الموت هناك وامتدت جذوره ويقتلع من الناس كل الآلاف، لكن هنا ينبغي أن تعيشي وتعودي قوية لتدوني وتسجلي سيرتهم وطموحهم أولئك الذين ماتوا وآمالهم معلقة بروحك الحية.

أصاغ عمرو المعاني بطريقة ذهبية تلمع، جعلتني أرى الحياة بين كسرتي خبز؛ لذا كان قراري على المحك وما دمت أتنفس حية، فعليّ أن أقاوم؛ لأكون صوتهم مكاني حتى لو من أفق بعيد ولن أحيد عن طريقي.

أتناول فطوري وأنا تحت أنظار عمرو وهو بقمة سعادته بنجاحه بإقناعي تناوله، لكن في تلك الأثناء هاجم عقلي

سؤال ذو صبغة أنانية لم أسأله قبلًا.

هاجر: عمرو، ماذا لو كنت أنا من مات وبقية الطاقم قد نجى؟ هل كانوا سيحزنون ليومين وبعدها يعودن ليكملوا حياتهم باعتياد كأن شيئًا لم يكن؟

تروَّى عمرو قبل أن يجاوب وابتسم.

عمرو: نودع الميت بجسده لنخلد ذكرى روحه، ليس لدينا بعد الموت سوى الذكرى والسيرة فلو كان الله قدر لكِ الموت هناك لكانوا رفعوا اسمك بكل مكان فخورين بشهادة رفيقتهم في سبيل أن يصل صوتًا إلى أخر العالم.

أمعنت التفكير فيما وراء معاني الكلمات، ثم تنهدت معلنة الاقتناع، فما فائدة التمسك بالحياة وأنت ليس لك أُثر أو دور بين الأحياء.

انحنى عمرو يلملم الصينة والأطباق ثم التفتت متجهًا إلى الباب ليخرج، وقبل أن يكاد يغلق الباب خلفه أردف قائلًا: لا، لن أقفله سوف أتركه لعلك ترغبين في الخروج إلى الحديقة، الجميع بالخارج والطقس لطيف ومثالي، يشبهك تمامًا.

تبدلت قسمات وجهي إلى الابتهاج لما قاله عمرو من إطراء لطيف.

كان لكلام عمرو انعكاس أشبه بري زهرة عطشة بيوم

صيف حار.

فقد أنعش عقلي وهدّأ روحي وأعاد إليَّ بصيص أمل ينير بين جدار عقلي المظلم، وانتابتني رغبة في أن أخرج للحديقة وأرى كيف أصبح العالم منذ أن انعزلت عنه، هل اختلف شيء ما بسماء بيروت؟

نفضت فراشي ورتبته وحملت دفتري وقلمي وخرجت من باب الغرفة أتمشى بأروقة المشفى، الأضواء الخافتة تدخل الراحة للقلوب والأجواء الهادئة تريح العقل، ولكن مثلما أشعر بكل مكان، يتملكني شعور أنني ضيعت درب باب البيت.

وصلت إلى باب المصح الداخلي الذي بعده الحديقة الكبيرة ثم بوابة كبيرة معدنية تفصلنا عن الخارج جدران إسمنتية سميكة وعالية تحاوط الحديقة والمشفى، أي أننا في أحضان الطبيعة، حديقة كبيرة على مرمى البصر مليئة بالأخضر الزاهي وزهور الياسَمين أجمل ما تقع عليه عيناك بالشام و بيروت؛ حيث لا يوجد إلا هواء نقي.

أتطلع إلى الخارج بأطراف بصري، فأنا أينما حللت أتنفس الغربة.

ألف قلبي المنظر واشتهته روحي، الشمس تحيط الأشجار الخضراء وزهور بألوان زاهية تشكل لوحة مكتملة.

رغم أني بكامل وعي واتزاني إلا أنني أعاني من دوار خفيف إثر بعض الأدوية، لكن لا يهم.

يجب أن أعتاد، عليَّ أن أتكيَّف مثلما تكيفت مع كل ما مضى.

أعطى مخي الإشارة لجهازي العصبي بالتقدم للخروج، فخطوت بضع خطوات ودلفت من البوابة، ثم توقفت في بداية الحديقة، أحاول أن أحزر موقعنا من المعالم المجاورة.

فمن ناحية اليمين جبل، ومن ناحية اليسار يظهر من الأفق البحر، ومن حولنا بساتين خضراء، فنحن على الأغلب بمنطقة "كركول الدروز"، ولكن أجواء المكان واختيار الموقع مثالي، وهذا أنسب ما قد يساهم بتحسننا وعلاجنا.

العلاج النفسي ليس فقط العزلة بين حوائط إسمنتية وإكراهنا على تعاطي أدوية ذات تأثير كيميائي.

أكملت جولتي متأملة الجوار من حولي، كلما وقعت عيناي على مكان أرى به زهورًا نبتت وأزهرت ورود وأشجار كبيرة تظلنا بظلها الحنون وفروعها الخضراء تعانق الجدران من كل حافة.

وبعد معاينة سريعة اخترت شجرة محببة إلى قلبي، فأنا أجد شجرة الزيتون رمزًا ثقافيًّا لبلدي ولفلسطين الحبيبة.

ساقتني قدماي حيث جلست تحت ظلها أتأمل الجوار من ناحي، وأستنشق الأكسجين المختلط بعبير الزهور التي تحفز ذكريات ذات طابع وهوية.

تقطع حبل أفكاري المتصل بالماضي، وتحفز ذهني للأصوات بالجوار صوت ضحكات و حديث البقية، فكان الصوت لرفاقي من المرضى يلعبون الكرة كعادتهم.

التفت أطالعهم بعيون باهتة تخلو من أيّ معانٍ أو تساؤل، فقط اهتمام فارغ المعنى.

كان هو من بينهم يقفز بالهواء ملتقطًا الكرة، أتساءل دومًا من أين يحصل علّام على إيجابيته وأقدمه؟

أدرت وجهي عنهم وغصت بشرودي مرة أخرى، فأنا لا أجد نفسي بينهم ولا بأي مكان أخر.

أنا في مدينة معلقة بين ضباب الواقع وسكون الأحلام، كانت هناك كنفس ضائعة تبحث عن معنًى لوجودها.

تجولت بين شوارع الأمان و زوايا الاستقرار، أسأل نفسي عن مكانها في هذا العالم الواسع.

كل مكان أزوره، أترك فيه جزءًا من قلبي، آملةً أن أجد في يومٍ ما هُوية المكان الذي يمكن أن أدعوه بحق: "وطن".

البيوت كانت دافئة ولكنها لم تكن موطني، الأصدقاء كانوا

قريبين ولكنهم لم يملؤوا فراغ روحي.

في كل زاوية وجدت قطعة من ذاتي، لكن الصورة الكاملة عني ظلت غائبة، فهل سأجد ذاتي الحقيقية، أم أنني سأظل دوماً في رحلة بحث لا تنتهي بداخلي و داخل ظلال عقلي بين ظلامه؟!

اقترب علَّام بهدوء والهواء يتلاعب باتجاه خصلات شعره الناعم والقصير، وقال: أود أن تنضمي إلينا ونتشارك اللعب.

لم يكن لدي من الكلمات ما تعبر عن حالتي وغص حلقي، أتحمل مرارة لا تحتمل، فما كان إلا أنني انسحبت وتركته هاربة للداخل، أختبئ خلف حوائط مقبرتي، فأنا لا أريد أن أرى نورًا ولا أن أعيش وأنعم في سرور، فأنفاسي فارغة وقلبي لا يتحم، ل كلما حاولت أن أتقرب للبقية يلومنني وأتذكر بحور دماء رفاقي.

مضى النهار وأنا أحاسب نفسي وأعاتبها تارة، وأضع الحق علي بأني أسعى لنسيان رفاق دربي، وتارة قلبي يوخزني بالألم ويذكرني أنهم رحلوا وبقيت وحيدة.

وأنفاسي ضاقت وصدري لا تسعه رئتي، كنت أشعر أني أختنق بحبل أفكاري؛ لذا طلبت من عمرو أن أخرج ليلًا للحديقة.

من ناحية الهواء النقي سوف يُحسن من تنفسي ومن ناحية أخرى سأكون وحدي بعيدًا عن أولئك الرفاق.

عرض عليَّ عمرو أن يرافقني لكن رفضت طلبه بلطف وأخبرته أني بخير، وفقط أحتاج الجلوس بين العشب وهدوء الليل.

وافق وسمح لي بالخروج، فاخترت نفس الشجرة؛ شجرة الزيتون، جلست تحت أغصانها المتدلي منها ثمار الزينون.

الليل هادئ وخالٍ من أي صوت لا يسمع سوى صوت تمايل فروع الشجر المتراقص مع نسيم الهواء الخفيف المنعش.

عانقت ركبتي برفق وضممتها إلى صدري.

رفعت بصري إلى السماء المرصعة بالنجوم، وميض النجوم يشبه نبضات القلب الذي يفيض بالاشتياق أو ينبض بالأمل.

- تعرفين، النجوم تحكي قصصًا لمن يستطيع، لمن يستطيع فهم صمتها ووميضها.

لم ألحظ وجوده ولم أنتبه إلى قدومه، لكن راق لي كلامه، فالتفتّ إليه بابتسامة، وقلت: وما القصة التي ترويها الليلة؟

اقترب علام وجلس بجواري، رفع بصره نحو السماء وأشار بسبابته، ثم عاد بظهره إلى الوراء قليلًا وتنفس الصعداء وأغمض عينيه لثوانٍ وكأنه يستحضر روح الراوي، ثم استرسل قائلًا: في زمن بعيد، حيث كان الفضاء لغزًا لم يُكتشف بعد وكان الناس في رهبة من السماء، نسجت عقولهم حكايات وأساطير حول النجوم التي تزين ظلمة الليل.

كانت هذه النجوم أكثر من مجرد أضواء بعيدة في السماء؛ كانت رموزًا للآلهة، ودلائل للملاحين، ومصادر للإلهام للعلماء.

في أحد هذه العوالم البعيدة، كان يعيش حكيم يُدعى: (ثابتًا)، كان ثابت يقضي لياليه يتأمل السماء، محاولًا فهم أسرار النجوم والأجرام السماوية.

وقد أدرك أن لكل نجم قصة، ولكل تجمع نَجمي أسطورة.

كان يجمع هذه القصص ويرويها لأهل قريته، مما جعل منه راوي الأساطير المحبوب.

من بين القصص التي رواها ثابت، كانت أسطورة الدب الأكبر والدب الأصغر، وكيف حولتهما الآلهة إلى تجمعات نجمية لحمايتهما من وحش ضخم يطاردهما.

وحكى أيضًا عن أوريون؛ الصياد العظيم الذي وُضع بين

النجوم ليخلد شجاعته وقوته.

مع مرور الوقت، بدأ ثابت يلاحظ نمطًا في حركة النجوم، فقد اكتشف أن النجوم لا تتحرك بشكل عشوائي، بل تتبع مسارات دقيقة عبر السماء.

أدرك أن هناك نظامًا في هذا الكون، نظام يمكن فهمه وتفسيره، وهكذا تحولت اهتماماته من الأساطير إلى العلوم.

بدأ ثابت بتدوين ملاحظاته وحساباته، مُسخرًا معرفته الأسطورية لفهم السماء منظور علمي.

ومع مرور الزمن، أصبح ثابت ليس فقط راوي أساطير، بل أيضًا أحد الرواد في علم الفلك.

وفي النهاية، قادته دراساته واستكشافاته إلى نظرية مُذهلة، تفيد بأن الأرض ليست مركز الكون، بل مجرد واحدة من العديد من الأجسام السماوية التي تدور حول الشمس.

كان هذا الاكتشاف بداية لثورة علمية، حيث بدأ الناس ينظرون إلى النجوم بعيون جديدة، ليس كرموز للآلهة أو مصادر للأساطير، وإنما كمفاتيح لفهم الكون.

وهكذا رغم مرور العصور، ظلت حكايات ثابت

واكتشافاته شاهدة على مسعى الإنسان الدؤوب نحو استكشاف الأسرار التي تكمنِ وراء النجوم.

من خلال الجمع بين الأساطير والعلوم، أظهر لنا ثابت أن كليهما ضروري؛ لفهم مكاننا في هذا الكون الواسع.

كانت الكلمات التي يحكيها ذات معانٍ شبيهة بما يعتقده أهلي وعقيدتهم منذ زمن بعيد، تلك القصص التي تربيت عليها وكونت جزءًا كبيرًا من مجال تفكيري وشخصيتي.

عدت إلى غرفتي بعد مجلس السمر يغمرني شعور بين البهجة والارتياح، وكوني عثرت بين تلك الأرواح الهائمة على روح لديها وجهة ومعيار عقلي متزن.

كان النسيم البارد يوخزني بقشعريرة توصل البرودة إلى أعماق روحي؛ لذا عانقت غطائي بطمأنينة وتدثرت به لأحتمي من البرودة، وشردت وأنا أتأمل السقف متذكرة كلماته التي تحمل بريقَ عقلٍ ناضجٍ، لكن سطع تساؤل بسطح عقلي، طالما أنه ذو تفكير متزن ويغوص بأعماق المعاني، لمَ يمكث بمصح أمراض عقلية؟

ما المرض أو الداعي الذي قد يكون لأجله علام هنا؟

مرت عدة أيام وأنا أتابعه بترقب سواء بلعب أو بجلسات السمر المسائية تحت النجوم بالحديقة، لا أجد دليلًا كافيًا يثبت عدم كفاءة عقله!

لا أعرف ما العلة التي قد يكون بسببها علام في هذا المكان؟ لكن ربما سأعرف اليوم، فاليوم ميعاد الكشف الدوري الذي من خلاله يحدد الطبيب: (وجيه) تقيم كل حالة.

* * *

استيقظت صباحًا بنشاط وشغف متحمسة، تناولت الفطور برفقة بقية رفاقي المرضى، ودخلنا إلى غرفة الترفيه، ثم بدأ الطبيب وجيه في إرسال استدعاءات بترتيب الأسماء لمكتبه ليبدأ بالكشف، كنت عالقة بين أمرين:

الأول: مراقبة علام كالمعتاد؛ فأنا أتحرى عنه وأترصد له بترقب، لكن دون أن ألفت انتباهه.

الثاني: أن يحين دوري؛ فأنا أول مرة أنضم للتقييم الأسبوعي.

وحسب الترتيب الهجائي كنت أنا صاحبة آخر دور.

رافقني عمرو إلى باب غرفة الطبيب وجيه، ثم وقف مُترو ٍ يتابعني بنظراته الحنون التي تغمرني دومًا، تحسس كتفي برفق ثم همس قائلًا: هل أنتِ مستعدة، إن شئتِ أخبره إنك سوف تكونين جاهزة في الجلسة القادمة.

أزحت يده عن كتفي بلطف وأجبته بلين: لا، أنا بخير لا داعٍ للقلق، فقط أنتظر خروجي.

أجابني باسم الثغر بشوش الوجه: أنا دائمًا هنا لأجلك.

استشعرت الأمان والطمأنينة بين كلماته، وخفق قلبي بارتياح ثم دلفت من الباب إلى الغرفة.

مسحت المكان ببصري سريعًا؛ إضاءة هادئة وترتيب منمق، أثاث ذو طابع بسيط، يجبرك المكان على أن تتملكك الراحة وتتلذذ بالهدوء المسيطر على المكان.

صوت أنغام البيانو التي تبث عبر نظام الصوت المتوزع بالغرفة تعزف ألحان من الفرحة والاسترخاء.

دخلت بخطوات هادئة أتلفت حولي، فكان يجلس على الأريكة المجاورة للمكتب، فاعتدت من الطبيب وجيه عدم محبته للرسميات، وبعيون متركزة على صفحات الدفتر الذي بيده وكان بين أصابعه قلم يدون بضع ملاحظات.

استشعر دخولي فالتفت إليَّ قائلًا: ممتاز، لم أكن أتوقع حضورك هذه المرة، لكن جيد.

اقتربت بخطوات مترددة ثم جلست على كرسي بجانب الأريكة، نحَّى الدفتر جانبًا ونبس قائلًا: بعينيك شغف الفضول، ولسانك يخفي كلمات تراوده، أخبريني إذن ما الذي يجول بخاطركِ؟

أجبته متسائلة بتعجب: ألن تسألني عن حالي؟ أو بماذا أشعر لترى مدى تقدمي؟

وجيه: أنتِ بخير تمامًا، حتى أنكِ لم تأتِ إلى مكتبي لتقييم حالتك؛ لذا أخبريني ما الذي يشغلك؟

انكمشت حرجًا بمقعدي، وعقدت مرفقي ثم تنفست الصعداء وأردفت قائلة: أجل، أريد سؤالك عن أحدهم، علَّام ما مرضه بالضبط؟ أراه عاقلًا تمامًا، لمَ هو بين المرضى العقليين؟

تروى قليلًا ثم تساءل: ولمَ تسألين عن علام بالأخص؟ هل هناك سبب ما؟

كان لسؤاله مدى عميق لأمس قلبي، ولن أكبح المعاني التي تراود خاطري.

هاجر: لأول مرة أشعر أني مهتمة لأمر أحدهم، فكلما فكرت به أو رأيته أمامي ينبض قلبي بإيقاع مختلف، إيقاع لم أعرفه من قبل، يحمل بكل دقة فيه وعدًا بالحياة.

التمس الطبيب وجيه كم كلماتي، والمشاعر التي أكنها تجاه علام، وكانت ملامحه تعكس مدى ارتياحه وفرحته بكلماتي التي تشير أني أصحبت فعلًا جاهزة للاندماج بالحياة من جديد.

وجيه: كل ما قيل مثالي ورائع، علام ليس مريض بالمعنى الحرفي الدارج، فهو مثلك واجه بعض الأزمات

والتي لم يستطع تخطيها؛ لذا جاء إلى هنا محاولًا أن ينجح بذلك...

قاطعته متسائلة: وما هي تلك الصعاب؟

زم شفتيه وعقد حاجبيه متعجبًا وقال: وما الداعي وراء سؤالك؟ ما هو سبب تساؤلك؟

هاجر: كل ما في الأمر أني أشعر تجاهه شيئًا خاصًّا؛ لذا أريد أن أعرف الحقيقة.

أومأ وجيه متفهمًا ثم استكمل قائلًا: لذلك يفضل أن تصل كلماتك إلى مسامعه، وأن تعرفي حقيقة وضعه منه، صحيح أني أعلم عن حالته، لكن أسرار المرضى مربوطة بميثاق قسم المهنية، وهذا يمنعني من أفشي أسراركم.

تفهمت تكتمه واحترمته كونها أمانة يحملها بميثاق عمله؛ لذلك بعدما أتممت الجلسة، انسحبت ورافقني عمرو وأعادني إلى غرفتي.

تملكني شعور واحد؛ الرغبة في الانعزال كما كنت.

لم يعد هذا العالم يسعني أو يسمع أحزاني وهمومي وكأن السماء أصحبت مثقلة بمعاناتي.

مر يومين ولم أخرج فيهما ولم أفارق فراشي، وكلما

جاءني عمرو بالطعام أراده رافضة، فلم يعد لديَّ طاقة أن أفكر فيما قد يكون مخفيًا عني من أسرار.

يتملكني شعور واحد أن أظل في رقودي عاكفة، ولكن بالرغم من ذلك كان بالي مشغولًا به، لأول مرة منذ فترة طويلة ينشغل تفكيري بشخص ما لا أعرفه، هل هذا ما يسمونه الإعجاب أو الحب؟!

وبالرغم من إصراري على ألا أعبث بهذا السر الخفي عني، إلى أن يراودني ويتردد إلى ذهني ما قاله علام من كلمات قد ملئت وأنارت معانيها بقلبي أفاق.

* * *

الهدوء مسيطر على المكان، الجميع نيام، فنفضت غطائي وقمت عن فراشي وجلست على الأرض لكن هذه المرة وراء الباب.

عانقت ركبتيَّ وضممتها إلى صدري، لا أعرف كيف أستطيع كبح ما يخالج عقلي ويتسلل إلى أفكاري.

اغرورقت عينايَ بالدمع وكان صوت أنيني مسموع، لا أعلم أأبكي حيرة ويأسًا، أم اشتياقًا؟

دفنت وجهي بين ركبتيَّ وأجهشت بالبكاء.

- هل ضعتِ؟

تخللت الكلمات أذنيَّ ولامس صوته قلبي، فبالرغم من العناد فسكن بالي وهدأ قلبي لسماع صوته، وكأن لم يمسسني حزن أو هما قط!

جففت عينيَّ من الدموع وتحسست الباب الحديد ذا الملمس البارد وأجبته بصوت محتقن باختناق: أجل، لا أجد الطريق.

سمعت أنفاسه المتلاحقة بطمأنينة ثم أردف: لا بأس، ليس بالضرورة دومًا أن نجد طريقًا، أحيانًا يتطلب الأمر أن نصنع طريقنا الخاص.

كان لكلام علام دلالة لما هو يدور بعقلي بين ظلاله، فأنا دائمًا أبحث عن الطريق وعن كيفية الحياة مثل سائر الناس، لكني لا أملك تلك المهارة ولا أعرف كيفية صنعه وإدارته، لكن اتضح الأمر الآن وارتمست ملامح الطريق الجديد الذي تتشكل ملامحه.

شردت لثوانٍ أسأل نفسي: هل الماضي قد يكون ضمن ملامح هذا الطريق، أم أنه حاضر يحمل ملامح مختلفة؟ فكيف يمكن أن يزول الماضي ونتركه يمضي؟ كيف من يخاف يفعل هذا هو من يخاف التغير؟

فقالوا كثيرًا سأنسى خلال أيام، لكن الوقت لا يمر ليترك خيار النسيان.

علام: أعرف أنك ما زلتِ تجلسين وراء الباب.

منذ أن التقيتك أول مرة وأنا أريد إخبارك شيء مهم.

عدت للانتباه إلى ما يقوله علام لأركز على كلماته مستمعه بإنصات.

علام: لكن قبل أن أقول، فسبب وجودي هنا أني مشتاق لكِ، فغيابك من بيننا ظاهر ومكانك لا يملؤه غير دفئك وجوارك.

ارتسمت ابتسامة صافية وتراقص قلبي على ألحان كلماته.

علام: ما أردت إخبارك به أني أعرفك من قبل أن نلتقي هنا، وتعمدت أن أختار رمز النجوم كوني كنت أسمعك ترددي شعار القناة الفضائية؛ لعلك تعرفين أني كنت من متابعينكِ يومًا، كنت أردّده دومًا وراءك: "كانت معكم هاجر حاجي، قناة الحقيقة النجم الساطع بسماء الأعلام".

قمت مسرعة وفتحت الباب لأراه لنجلس سويًّا، فلا يوجد سبب لنفترق أو نهرب لأجله من بعد الآن.

قابلتني يداه بلمسة حنون ذات قوة، لمسة أترجاها من العالم؛ العالم الذي يملأ الوحدة بداخله، غربة ووحدة سكنت قلبي وغلفته بتعب وإجهاد لسنوات، أذابتها لمعة الاشتياق بعينيه وملأتها أملًا بإلقاء وتشكلت معاني ذات

رؤًى تلامس قلبي همس إليَّ بصوت مبحوح ودموع مجمعة بعينيه: أرجوكِ، لا تهربي مني مرة أخرى.

اقتربت بخطوات هادئة ومسحت دموعه بطرف كمي وأجبته بنبرة هادئة: لا تخف، لن أغادرك أبدًا، فروحي معلقة بروحك.

دخلنا إلى غرفتي وجلسنا على الأرض حيث المكان الذي أفضل به الجلوس دومًا.

هاجر: أعرف أن مكان جلستني قد لا يعجبك، لكني أفضل الجلوس على الأرض فالأرائك متشابهة، لكن الأرض تختلف طبيعتها من مكان إلى آخر.

علام: حيثما تجلسين سيكون أميز مكان كوني أجلس إلى جوارك وبرفقتك.

ابتهج خاطري وإضاءة الفرحة وجوهنا وقلبينا وذهبت إلى ما هو أبعد من النجوم.

هاجر: حدثتني ذات مرة عن النجوم وقصصها، ما الذي تحكيها النجوم أيضًا؟

تأمل الفراغ المحيط بنا ثم نظر إلى عينيّ بتفحص ثم همس قائلًا: كل ما حولنا من أُثر حكيها.

هاجر: لم أفهم!

علام: منذ سنوات بعيدة الأفق، انفجرت النجوم متصادمة بحربنا قوية ومن أثرها ولدت الكواكب والمجرات والحياة بكل ملامحها وأن تتأملي، ستجدين أثر النجوم بقلبك.

وبعد جهد ومجهود ذهني غصت بأعماق المعاني التي يشير إليها ببضع كلمات مجهولة، ثم سطع بعقلي سؤال أردت أن أسأله لعله يكون لديه جواب.

هاجر: الحاضر، كيف نضع له ملامح تختلف عن الماضي؟

تروَّى محدقًا بالأفق ثم أردف: الحاضر هو الابن البكر للماضي، يحمل جذوره وهويته لكن تشكل ملامحه بثمار المداومة على ما نريد حصاد وجنيه بالمستقبل.

صرفت بصري عن النظر إليه وشردت غارقة بمعاني كلماته ثم استدركت قائلة: الحاضر هو سجن تابع للماضي.

تنفس براحة ثم ارتسم شبح ابتسامة بين شفتيه وقال: أوافقكِ الرأي، وأنسب ما يفعل بالسجن هو قضاء العقوبة لنبدأ بعدها من جديد.

زاغ عقلي وانفرطت حبات عقد أفكاري واستشعرت أن ما يقوله فوق استيعاب فهمي.

هاجر: لا أفهمك، ماذا تقصد؟

علام: أعني أن أنسب ما يفُعل مع الحاضر أن نعيشه، وأنسب ما يفُعل مع الماضي أن نتعلم منه.

تحسست وراء كلماته منطقًا وتفكيرًا يناسب موج الحياة العاتي، ولا ينبع إلا من شخص ذي تجارب حياتية صعبة، وهنا تذكرت ما قاله الطبيب وجيه عن تلك الصعاب التي عاشها علام، تسألت ترى ما السبب الحقيقي وراء مكوث علام بهذا المصح العقلي، طالما أنه متزن ذو عقل حكيم التفكير؟

عانقت ركبتي بمعصمي وأسندت رأسي على كتفه بوهن وأسترجيه أن يساندني بحربي مع نفسي وعقلي.

هاجر: علام، ترى ما هي الحكاية التي وراء نجمك؟

داعب خصلات شعري بأصابعه برفق واقترب من أذني هامسًا: يُحكى أن شابًّا يملك من الحياة كل ما أراد أن يمتلك، عائلة تحبه معيشة مرفهة ذات الكثير من النعم وزوج جميلة تأنس قربه وتحترمه ببعده إلى أن جاء يوم وانقلبت حياته ليرحل كل من أحبه ليبقى عالقًا بين الأحياء وحيدًا حزينًا وغريبًا في الغربة، ليست مجرد غياب وطن إنما غربة روح بين حنايا القلب وتفاصيل مفقودة لرحلة إلى عوالم لا تعرف الزمان والمكان.

كان لعلام صوت كاحتضان قلبي أوقف قلقه وخوفه من

الماضي ومن الوحدة والغرب، فما أن بدأ بالحديث حتى نسيت أنني مريضة وحيدة، وأنني كالأموات الرقود بين حوائط المصح، وقبل أن تكاد عيني تغفو نعسًا من الطمأنينة الساطعة من حنجرته اعتدلت بجلستي وقاطعته متسائلة: مهلًا، أعد الحكاية دون إضافة لمستك الخيالية، أرجوك أخبرني الحقيقة يا علام.

لامست يديه بأطراف أصابعي بوهن ونظرت إلى عينيه بعيون باهتة المعنى، ضائعة أبحث بين عينيه عن كل المعاني المتناقضة.

هاجر: أرجوك، أخبرني لمَ أنت هنا يا علام؟

مسح بإبهامه الدمعة السابحة على وجنتي ثم ابتسم قائلًا: هو شيء لا ينسى ولن يمحى من ذاكرتي مهما مرت الأيام، الصدمة والحزن وعشرات الأموات، الدماء كانت بكل مكان، الدمار هائل وأحاط الدخان بسماء بيروت عقب الانفجار.. كان بالبداية اليوم جميل، ذهبت برفقة زوجتي للمتجر لنختار هدية لعيد ميلاد أمي.

ثم بثوانٍ معدودة اِنهار المكان بالكامل إثر الانفجار، باليوم الرابع من أغسطس لسنة (2020) انفجر المرفأ ببيروت ليأخذ مني زوجي التي كنت أتنفس حبها هواءً، وأمي التي لا أجد من بعدها حِضنًا ليسع أحزاني.

أعادوا البناء مثلما كان، لكن لم تعد الأرواح حيثما كانت، أصبح دمار جروح قلبي يفوق دمار شوارع بيروت.

هاجر: وكيف تخطيت؟

علام: لم أتخطَّ، أنا فقط أتعايش.

هاجر: وأنا لست حية، أنا فقط على قيد الحياة.

علام: من خسرتِ؟ وكيف؟

هاجر: كل رفاقي، بقصف في حرب غزة.

وكانت هذه لحظة الإدراك الأشمل للمعاني، فأدركت الآن أن علام مثلي، ليس مريضًا يحتاج أن يحبس بين الجدران، بل يحتاج لمن يمنحه الحب ويجعله يعود بإرادته إلى معقل صراع الحياة ويكف هو عن التصارع مع ظلال عقله، وربما أنسب من يقوم بهذه المهمة هي أنا، فأنا أحتاج إلى من يشبهني، وهو يحتاج إلى من عاش ظروفًا مشابهة.

مرت أيام قرابة شهرين، توطدت علاقتنا ونكاد لا نتفرق إلا بالنوم ليلًا، نتشارك كل شيء: الألعاب والألوان والرسم، نسهر لنتأمل النجوم ونمرح بين رفاقنا نهارًا.

أصحبنا مقربين وزالت بيننا كل الفروق وكلانا يجد في الآخر مرآة لروحه المفقودة.

واليوم ترسم ملامح جديدة لرحلة بدأتها بنصف قلب ونصف روح لأصل إلى لون من الألوان معاني الكمال.

* * *

استيقظنا باكرًا لتناول الفطور ومن ثم توجهنا برفقة بقية الرفاق إلى قاعة الترفيه واتخذ كلٌّ منا مقعده خلف الطاولات ليكمل نشاطه بحماس وروح تفاؤل موزعة بالتساوي بين قلوبنا جميعًا.

وبالزاوية كان يعزف زميلنا (سليم) على الكلارينت لحن: "نسَّم علينا الهوى"، وزادت عذوبة عزفه إتقانه للألحان مما رسم حالة من البهجة بأرجاء المكان أطربت قلوبنا وآذاننا.

قام علام يتمايل على إيقاع اللحن وأمسك يدي وجذبني، فقمت لأقف جانبه ثم أعاد الكَرة مع بقيت الرفاق لنشكل سلسلة لنؤدي رقصة الدبكة، بدأنا بخطوات بسيطة ثم تزداد تعقيدًا وسرعة مع تقدم قائد الرقصة المسمى: "بالروايس" كما نسميه وهو الذي يكون مسؤولًا عن توجيه الراقصين والذي اتخذ دوره علام.

تشكلت السلسلة من ثلاثة شباب وبنتان نؤدي رقصة الدبكة على إيقاع الأغنية المعزوف، لحظات استرجعت بها أصلي وهويتي، فالدبكة هي رقصة تقليدية في لبنان

والشام تؤدى في المناسبات والأعراس والأعياد وما يميزها أنها ذات إيقاع سريع ومتناسق.

كنت أنا وعلام قابضين على أيدي بعضنا بقوة ونبدل بالأرجل حسب الإيقاع الحماسي للرقص، ولأول مرة وجدت قلبي ينبض بإيقاع مختلف، إيقاع لم أعرفه من قبل يحمل بكل دقة فيه وعدًا بالحياة.

تعالت أصوات ضحكاتنا مختلطة بحركات عفوية بغير سياق الرقصة ونتغنى بكلمات:

"فزعانة يا قلبي

"اكبر بهالغربة

"ما تعرفني بلادي

"خدني، خدني على بلادي

"وبعدا الشمس بتبكي عالباب وما تحكي

يحكي هوا بلادي

"خدني، خدني على بلادي".

دخل عمرو إلى القاعة وانضم إلينا لتكتمل لوحة البهجة بالمكان.

بعد عدة دقائق انتهى سليم من العزف وتفرق البقية ليعود الكل لنشاطه.

جلست أنا وعلام نكمل رسمتنا وكان عمرو ينتظرنا بصبر وابتسامة صافية على وجهه تعكس روحه النقية.

بعدما أتممنا رسمتنا نظر عمرو إليَّ، ثم قال: الطبيب وجيه يطلبك لوضع التقرير النهائي، لقد أحرزتِ تقدمًا كبيرًا يا هاجر، وأظن أنكِ مستعدة للعودة إلى حياتك.

تبادلت النظرات مع عمرو بقلق ثم نظرت إلى علام بتوتر، قابل نظراتي القلقة بنظرة ود وطمأنينة، ومد يده لسحب كفي ثم ضغط برفق ليبث إليّ الأمان، أستطع أن أتركه وأذهب برفقة عمرو بمفردي، فلا أجد الأمان إلا بجواره؛ لذا توسلت لعمرو وطلبت منه أن يحضر علامًا برفقتي، فوافق مُرحبًا بقبول.

وصلنا إلى نهاية الممر الذي به عرفة الطبيب وجيه.

كان عمرو بالمقدمة وخلفه أنا وعلام نمسك بأيدي بعضنا.

فتح عمرو مقبض الباب و ترك لنا المجال لندخل.

كان الطبيب وجيه كعادته يجلس على الأريكة وبين يديه بضع أوراق وقلم، يطالعها بتمعن وما أن انتبه لدخولنا فحول بصره إلينا.

أدام النظر إلينا بثبات، وجهه مبتسم بوقار يغلفه التفاؤل.

وجيه: كل ما أمامي يثبت الآن أنكِ بكامل الاستعداد للعودة إلى لحياتك، العالم ينتظركِ بالخارج.

تبادلت أنا وعلام النظرات بين بهجة وابتسامات غمرت أرواحنا وقلبينا.

ثم أردفت بحزم وعزم: أريد أن أعود، لكن ليس بمفردي.

تداخلت الإيماءات وتساؤلات بخاطره، ثم غلبت الابتسامة على ملامحه وأردف: علام، نتائجه تحسنت مؤخرًا وسجله مليء بالإيجابيات، إن كان لديه الرغبة بالخروج فلا توجد مشكلة.

تبادلنا أنا وعلام النظرات بعيون مبتهجة تبعث من قلوب يغمرها التفاؤل لمستقبل يحمل ملامح جديدة عن جروح الماضي.

تروى علام بثبات ثم أومأ بالإيجاب وهتف: أريد الخروج، لنكن سويًا.

غمرت إيماءات البهجة لتغمر قسمات وجه الطبيب وجيه ثم أمسك القلم أشار بتوقيع بالموافقة على خروج كلينا من مصح الأمل لنعود إلى الحياة من خلال بعضنا.

مرت ع أيام منذ خروجنا ولا نفترق أبدًا، تبادلنا الحديث بعمق عن ملامح حياتنا معًا ومستقبلنا، ووافق أهلي على زواجنا، اكتشفنا عالم جمعنا باختلافنا وتشابهنا ونجد من الليل بوابة تطل إلى عالم آخر.

أحاط الغروب محاصرًا الشمس بالسماء لتخضع

وتنحسب، وأخاط الليل عقد النجوم المنثور بالأفاق وتنفست الأشجار والزروع نسيم الهواء.

صفَّ علام السيارة لنقف عند بداية مرتفع الصخري لجبل لبنان، ترجلنا عنها لنبدأ بالصعود بمساعدته لنصل إلى السطح العلوي من الجبل.

مشينا بضع خطوات إلى أن وصلنا للأطراف المطلة على البحر.

وقفت شاردة البال أغوص بأفكاري وأتساءل هل وصلنا للنهاية أم أنها البداية لوجهة جديدة؟

كان للمشهد هيبة وسحر يخطف القلب من بين أضلاعي وبين النظرة والنظرة يغسل ماء البحر كل ما رأيت من حزن وهم.

جلس علام مفترشًا الأرض على مفرش أرضي وأشعل حطبًا للتدفئة ثم جلست إلى جواره محاوطني بحِضنه الدافئ من برودة النسيم، وكان بصرنا متركزًا على شيء محدد بالسماء.

أشار علام إلى السماء حيث ينبض نجم بوميض متوتر من أفق بعيد، ثم استرسل بالحكي عما يدور بخواطر وقلوب النجوم.

لم يكن علام يسعى أن يكون الأكثر إبهار، فالإبهار مع

الوقت يزول، فما جمعنا وربط مصيرنا معًا القدر وأثره الطيب ذو الطابع المميز، فالتأثير له أثر يطول ويدوم.

قد لا أكون نفس الشخص الذي بدأ هذه المعركة، لكني ما زلت أملك بقايا أفكاره وأماله.

في أحضان العقل والجنون، وجدت حب حياتي، هو نوري في ظلال عقلي وبين ظلاله، وأنا الصفحة البيضاء لألوانه اللا متناهية وبمعانيها النقية الصادقة.

الخاتمة

في نهاية المطاف، وجدت قبسًا من نورٍ في ظلام عقلي وبين ظلاله، حيث كانت الأزمة بداية لفجر جديد.

مررت من عتمة اليأس إلى نور الأمل، ومن الوحدة إلى رفقة تبعث الحياة في الروح من جديد.

كان حبي غير المتوقع كالمياه العذبة التي تنبعث من الصخر، تسقى القلب المتعطش للحياة والفهم.

لقد تعلمنا منها أن الضوء يمكن أن يولد من الظلام، وأن الشفاء ليس مجرد عودة إلى السلامة؛ بل هو رحلة نحو إعادة اكتشاف الذات وقبول الآخر، ففي كل نهاية تكمن بداية جديدة، وفي كل جرح تنبت بذور الأمل.

ومع الوقت، تحولت حياتي من مأساة إلى أسطورة عن الحب والشفاء والقوة الكامنة في قلب الإنسانية رغم أي تمزق كان.

عزيزي القارئ:

أقدر كونك تحب أن تكون غامضًا غير ملفت للانتباه تتصفح وتسلل بين الفصول بصمت دون أن ألاحظ لك وجودًا، لكن في الحقيقة أسعد ويزيد من طاقتي الإيجابية عندما أرى تصويتك وتعليقك عقب كل فصل، فرجاء مثلما أسعدك بنسج عالم من الخيال، حاول أن تسعدني وتفاعل ولو بقدر بسيط.